لمحات في تطوّر اللغة العربيّة

د. محمد بسناسي، جامعة ليون، فرنسا.

ملخّـــــص

يعرض البَحث قضيّة تطوّر اللغة بوصفهـــا كائنا حيّا، فهي تعرف مسار النمو والتطوّر ثمّ الاضمحلال أو البقاء. والعربية من اللغـــــــات الإنسانية التي عرفت كيف تتكيّف وتعمّر طويلا، بـــــل وتبعث في نفسها روحا جديدة. وخليق التّحري، ههنا، في بواعث تطوّر العربية باستظهار لمحات منها.

الكلمات المفتاحية: العربية، ديناميّة التطوّر، البقـــــاء، التكيّف، التماس اللغات، الترجمة

Résumé

Notre recherche traite la question de l'évolution de la langue. Car celle-ci représente une entité vivante. Elle passe par des étapes telles que l'émergence, l'évolution puis la disparition ou la survie. De fait, l'arabe est parmi les rares langues qui a non seulement su s'adapter aux besoins des parlers, mais également perdurer dans le temps au point de jouir d'un nouveau souffle. Il semble donc judicieux d'examiner, d'une part, les principales raisons de l'évolution de l'arabe ; et d'autre part d'exposer les quelques manifestations de son parcours évolutif.

Mots clés: l'arabe, le dynamisme de l'évolution, la survie, l'adaptation, le contact des langues, la traduction

توطئـــــة:

ليست اللغة كائنا حيّا فحسب، تشوبها عوارض التطوّر والتبدّل، ولكنّها تبقى كذلك معرّضة للضياع والموت، وتاريخ الألسنة حافل بلغات، صارت نسيّا منسيّا، تتعهدّها قلّة قليلة من ذوي الاختصاص بالتدارس والاهتمام، لقضاء مآرب مختلفة، قد تتراوح بين شغف بالآداب القديمة، أو بغية التخصّص في علم الآثار، أو للتبحّر في مبحث تطوّر اللغة أو علم اللغات المقارن. واللغات التي كُتِبَ لها أن لا تضمحّل، وقطعت من الأزمان أشواطا، عرفت ما عرفت من ملامح التبدّل والتغيّر على مستويات عدّة، من حركيّة في الرصيد المعجميّ، ومن طوارئ حلّت بالجانب الدلالي، ومن مستحدثات مسّت نطق بعض الأصوات، بل وما اكتنف حتّى أنموذج الخط المستعمَل من تعديل، إلى أن انتهى بالشكل الطباعي المعروف؛ وهذه سنّة سارت عليها اللغات واللهجات، نظرا لجملة من المؤثرات الداخليّة والخارجيّة، أسهمت في تعديل طبيعة اللسان من بعض جوانبه ومستوياته. وبما أنّ اللغة الحيّة تمثّل نبض حياة الجماعة المتكلّمة، وحركتها وحراكها، وكذا نشاطها، وفكرها؛ فإنّه بطريقة أو بأخرى، تنعكس على اللغة مظاهر هذه الحركة والنشاط والانطلاق، بخلاف اللغة الميتّة، التي تكون في حالة موات، وجمود، وانقضاء. وشتّان ما بين الحالين. ونحن إذ نضطلع بتدارس لمح من تطور اللغة، باستعراض نماذج من تاريخ العربيّة، فليس ذلك في محاولة لرصد كلّ مظاهر التطوّر، وإنمّا المبتغى سيحوم حول إزجاء إشارات يسيرات، لا تتوخّى العمق والتبحّر؛ لأنّ مبحثا كهذا، قد لا تستوفيه مجلدّات مستفيضات.

1. ديناميّة التطوّر: عامل بقاء للغة:

تشهد اللغة أطوارا متغايرة طيلة حياتها، من نشوء ونموّ وانتشار فاضمحلال، إن لم تأخذ بأسباب البقاء، مثلها في ذلك مثل الكائن الحي، بيد أنّ الملاحَظ في تاريخ اللغات الإنسانيّة، هو أنّنا نلفي لغات اندثرت بالكليّة، أمّا اللغات الشفوية؛ فتشكّل الأغلبيّة منها، ولا سبيل إلى استظهارها بعد مواتها، تبعا لانعدام أثر ماديّ حافظٍ لها، وبذا تنقضي اللغة الموسومة بالشفويّة، فلا يُهتدَى إلى نظامها أو سماتها، وهذا الصنف من الألسنة، مازال مهدّدا حتّى في وقتنا الرّاهن، وأمّا تلك اللغات التي اتّخذت لها أشكالا من الخط والكتابة؛ فقد حُفظَت للبشريّة، وأمكن لجمهور الباحثين فكّ شفرتها، بيد أنّها لغات غير متداولة؛ فهي انتقلت إلى عداد اللغات الميّتة، ونعرف أنّ اللاتينيّة كانت لسان حال إمبراطوريّة روما، إلّا أنّها لغة لا تتداولها الألسنة، ولما تقوّضت حضارتها، وانهارت وتهاوت، انصرف الاستعمال اللغوي إلى ألسنة جديدة مستحدثة، وهذا على الرّغم من الشّأو السامق الذي تبوأته روما ولاتينيتها حضاريّا، وثقافيّا، وعسكريّا.

والشيء ذاته يُقال عن الحضارة الفرعونيّة القديمة، التي بلغت فيها الحضارة مبلغا راقيا، ولما اضمحلّت راحت في تداعياتها لغتها، ولم يُتح، إلّا في القرن التاسع عشر، فك شفرتها، من طريق التّرجمة.

والعربية ازدهرت فيها حضارة، لا تقلّ شأنا عن سابقاتها، وأضافت إضافة متميّزة في شتّى صنوف المعارف والآداب والفنون والفلسلفة والعلوم، وقد حدث أن انطوت صفحة حضارتها، غير أنّ اللغة العربية، مازالت حيّة تُرزق، وها هي الآن تخوض غمار العولمة، وما تتّسم به هذه الظاهرة الكونيّة من قسوة على الضعاف، ومن تهديد للهويّات المحليّة، واللغة مكوّن هام من مكوّنات الهويّة الثقافيّة والحضاريّة لأمّة من الأمم. وهكذا، قطعت العربية أشواطا هامة، كفلت لها تواجدها وبقاءها، وتداولها، قلّما توافرت في لغة أخرى.

ومن أبرز ما جعل العربيّة لغة محفوظة، هو القرآن الكريم، وما أحدثه في النفسيّة العربية، من تحوّل خطير في التاريخ، وانتقلت اللغة من شِقّ المشافهة إلى شِقّ التّدوين. وظهرت العلوم اللسانيّة، والعلوم الدينيّة، والعلوم العقليّة، والفلسفة، ونشطت التّرجمة، وازداد التوسع الجغرافي للإسلام في كلّ الأفاق، كلّ هذا أعطى وزنا للعربيّة؛ أي لما غدت لغة دين وحضارة في الآن ذاته. وعرفت العربيّة كيف تساير مقتضيات كلّ عصر، وكيف تتناغم وتتكيّف مع كلّ وقت. بل يمكن القول إنّها لغة تنطوي على ديناميّة التطوّر المستمر، الذي يكفل لها البقاء والحياة؛ فمعجميّا «يكون التدخل في المعجم استجابة للرغبة في إغناء اللغة؛ إذ يعتبر أن من الواجب تزويد اللغة بمفردات جديدة، بهدف المواءمة بينها وبين حاجات العصر، والسماح لها بالتّعبير عن معان لم تكن قد عبّرت عنها بعد.» [1]

ولا غرو أنّ التّرجمة من بين أهمّ عوامل إثراء اللغة، واغتنائها بما جدّ واستجدّ، من مفاهيم ونظريات وأفكار، ومن اليسير ملاحظة أنّ التّرجمة فعلّت من ديناميّة تطور العربيّة، فأحدثت قديما تماسا بينها وبين لغات كالسريانيّة، والفارسيّة، والهنديّة، واليونانيّة، وأسهمت حديثا في إخراج البلاد الناطقة بالعربية من عصر التخلّف الفاضح، لتلج، ولئن بعسر، عهد النمو شيئا فشيئا.

وديناميّة التطوّر لا تقيَّض للغة منعزلة عن غيرها، نائية عن المستجدّات، إذ سيكون مصيرها الزوال والاضمحلال؛ ذلك أنّ أيّ ثقافة لا تكتفي بما لديها من موارد معجميّة ومكنونات اصطلاحيّة، وإنّ انعدام التفاعل مع بقيّة الحضارات واللغات هو مهاد لخفوت حتميّ، ومنذر بتراجع حضاري أكيد. ومن ثمّ، فَهِمْنَا لماذا فتحت البلاد

الغربيّة أبوابها للعقول الآتيّة من كلّ فجّ عميق. وأيّ حضارة مُؤْثِرَة للانكفاء، فمصيرها الخفوت، ومآل ثقافتها التداعي، والتقوقع في الهامش، تبعا لتلافي التأثير والتأثر مع ما يُنتَج هنا وهناك. كما أنّ عدم ممارسة أمّة ما التّرجمة، لا يزيد إلّا من الهوّة بينها وبين غيرها من الحضارات، وتتضاعف حاجاتها المعرفيّة، وتفتقر إثر ذلك ذخيرتها اللغوية، أمّا تلك اللغات التي تعوّل على التّرجمة؛ فهي تجعل جماعتها اللغويّة في تواصل تفاعليّ مع العالم الخارجي، وهذه ممارسة فكريّة حيويّة، تبثّ في اللسان نفسا طويلا؛ فتدبّ فيه حركيّة فاعلة، ترسم له بقاء، وتطوّرا، وديمومة.

2. الوعي بضرورة تطوّر العربيّة:

تُعدُّ العربية من اللغات المعمّرة، ولقد عرفت كيف تبقى، وتواكب متطلبّات كلّ عصر، مرّت به، وهي لازالت قائمة الآن، تحظى بالتداول والاستعمال، في شقيها الفصيح والدارج على حدّ سواء. ولقد تفطّن المعجميون العرب، إلى ضرورة مواءمة العربيّة لروح عصرها، من خلال تضمين مراجعهم القاموسيّة مفردات ومصطلحات، بحيث تعبّر عن الحقائق الجديدة، والمفاهيم والنظريات المستحدثة، في شتّى الحقول المعرفيّة.

والحق، ممّا ينقص المكتبة العربية هو موسوعة لغوية، تضبط تاريخ مفردات العربيّة، بحيث تسجّل تاريخ تطوّر المعاني، وتاريخ استحداث المفردات، ومن شأن هذا المنجز أن يكشف جوانب تأثيلية لأيّ كلمة، لما تتبيّن ملابسات اختلاقها لأوّل مرّة، «ولكنّ العربيّة، مثل بقيّة اللغات العريقة، لا تؤخذ في المعاجم، بل المعاجم تنشأ منها، ولكن المعجم المعتاد لا يحمل تاريخ الكلمة، كيف ولدت، وكيف ترعرعت ، وكيف استوت، ونضجت.» [2] وينبغي الإشارة أنّه ما فتئت الفرق البحثيّة العلميّة، حديثا تنهض بهذا العبء هنا وهناك، في مسعى لتزويد العربيّة بقاموسها التّاريخي. وزيادة على هذا الوعي بضرورة التأريخ لكلمات اللغة؛ فإنّ جولة في تصدير القواميس العربيّة، تنبئ كذلك عن حجم الوعي بمسائل التطوّر الواجب مواكبته، والتصدّي له معجميّا، لكي يعبّر أهل العربيّة عن أغراضهم، من دون غبن، ولا رهق من أمرهم.

فتصدير قاموس فارس الشدياق (ت 1887م)، الموسوم: (الجاسوس على القاموس)، يشير إلى مزاحمة الألسنة الأجنبيّة للعربيّة، وخطورة وضعي التواصل والاتصال بين أهل العربيّة؛ فيقول ما نصه: «إلّا أنّ ألسنة الأجانب زاحمته في هذا العصر، فكادت تحلئ عنه أهله، وتحجب عنهم ظله، وتحبس وابله وطله؛ لأن ترتيب كتب لغاتهم أسهل، والوصول إليها أعجل، ولاسيما أنّها قليلة المشتقات، وليس في تعريف ألفاظها كبير اختلاف في الروايات، أما من يتعاطون منا التجارة، ويحملون عبء الإمارة؛ فإنهم يزعمون أن اللغة العربية، لا تصلح في هذا الزمن لهاتين الخطتين؛ فلا

بدّ من الاستعانة بكلام الأجانب، وإن أدّى ذلك إلى حطتين.» [3] ولكأنّ ما قام به من وضعٍ قاموسيّ، أتى ردّا على أقاويل هؤلاء المغلوبين على أمرهم لسانيّا، والمستسلمين إلى ضرورة التخاطب باللغة الأجنبيّة ببساطة، تبعا لما يتصورونه من عجز في التواصل بالعربيّة.

وفي متن (محيط المحيط) لبطرس البستاني (ت 1883م)، نجده يعبّر عن الإضافات التي ساقها، والتّقسيمات التي عوّل عليها، بالاتكاء على طبيعة اللفظ؛ فيفضي بما صنعه قائلا: «فقد أضفتُ إلى أصول الأركان فيه فروعا كثيرة وتفاصيل شتّى، وألحقت بذلك مما لا يتعلق بمتن اللغة. وذكرت كثيرا من كلام المولّدين وألفاظ العامة، منبّها في أماكنها على أنّها خارجة عن أصل اللغة.»[4]

وبغية التصدّي لمقتضيات العصر الحديث ومتطلبّاته، نهضت لجنة من علماء اللغة بوضع (المعجم الوسيط)، ومن أهم ما اضطلعت به ضبط المسار التطوّري للألفاظ، بتعيين ما هو مولد ممّا هو محدث، وفي هذا المِيْز وعي بما دخل العربيّة قديما، وأُلحق بكلام العرب، وما اختلقه المحدَثُون، لكي يتماشى المعجم العربي وروح عصره؛ وتصرّح لجنة القراءة بهذا الاهتمام خاصّة: «وقفت [لجنة إعداد القاموس] من التفرقة بين المولد والمحدَث موقفا حاولت فيه ما أمكن، الإقلال من احتمال التداخل بين هذا وذاك.»[5]

ونقرأ في ديباجة (المنجد في اللغة العربية المعاصرة)، أنّ ما اقتضى أمر تطور العربيّة لمواكبة مستجدّات العصر، يتمثّل في «انفتاح العالم العربيّ على الحضارات الغربيّة، والانطلاقة الرائعة التي عرفها الأدب العربيّ الحديث في القرن العشرين، دفعا الأدباء والعلماء في بلاد العرب إلى ابتكار الكثير من المفردات الجديدة.»[6] كما يصرّح واضعو القاموس مردفين أنّهم أدرجوا الكلمات والمعاني الجديدة، استنادا إلى القواميس الثنائيّة اللغة، التي كانوا قد أعدّوها؛ أي القواميس بين العربيّة والفرنسيّة وبين العربية والإنجليزيّة؛ إذ لما حصل الاشتغال على القواميس الثنائيّة اللغة، «وجب على فريق العمل أن يجد في لغة الضّاد الحديثة جميع المفردات والعبارات، ذات المعنى الحقيقي أو المجازي، التي تقابل ما ورد في المعاجم الفرنسيّة والإنكليزيّة.»[7]

ولا شكّ أنّ واضعي القواميس الثنائيّة اللغة، يضطلعون بدور إيجاد المصطلحات المناسبة بالعربيّة، لما يقابلها من اللغات الأوربيّة؛ لذلك تأتي مدوّناتهم مترعة بالمفاهيم، والنظريات الجديدة، التي لا عهد للعربيّة بها، ولا بتسميتها؛ فَيُثْرِي القاموسيّ إذ ذّاك العربيّة، بما يستحدثه من دوال تناظر المفاهيم الأجنبيّة الوافدة،

«ومن ثمّ، يؤدي القاموس كما ينبغي وظيفته التّعليميّة لمّا يصير مصدرا للمعرفة.»[8]

والحال هكذا، فالقاموسيّ على وعي بضرورة ملء الفراغات المعجميّة، الناجمة قهرا عن ضرورة نقل المقابلات والمصطلحات، من بيئتها اللسانيّة إلى النظام اللساني العربي؛ فهذا صاحب (المورد العربي-إنكليزي)، يفصح عن منهجه شارحا أنّه قام «[ب] تضمين مفردات اللغة العربية كافّة الكلمات والمصطلحات والعبارات المعاصرة والحديثة التي باتت، بحكم التطوّر الحضاري والتمازج الثقافي والتواصل العلمي، جزءً لا يتجزأ منها، شرط أن يتوفر فيها عنصرا الشّيوع والتّداول؛ فتصبح مستقرّة، ومعترفا بها، من قبل الغالبيّة من مستعملي اللغة»[9]، ويضيف مستدركا: «أمّا الكلمات والمصطلحات والعبارات التي لم تبلغ هذه الدرجة، بل لا تزال غير موحّدة أو غير مألوفة أو لم تحظ باعتراف أو تداول عامين، ولم تتكرّس في دنيا الاستعمال _ كعدد كبير من المصطلحات العلميّة والتقنيّة التي لا تزال مترجرجة سواء منها المنحوتة أو المعرّبة_ فتستبعد بانتظار أن تستكمل الشروط المذكورة.[10]

كما يصف ما ينبغي بذله من جهود، للتصدّي لمهمّة التّرجمة ومقتضياتها، من اللغة الأجنبيّة إلى العربيّة، قائلا ما نصّه: «ولما كان تقصير المعاجم العربية في هذا المجال فادحا، ففي إمكان المرء أن يتخيّل مدى الجهد الذي على مؤلف قاموس عربي أجنبي أن يبذله والعنت الذي عليه أن يكابده إذا أراد لقاموسه أن يشمل على تلك الكلمات والمصطلحات.»[11]

وينتقد البعلبكي المصنّفات المرجعيّة الأحاديّة اللغة الحديثة، التي بحسبه لم تعكف بما فيه الكفاية على «إسقاط الألفاظ التي باتت، بحكم تطوّر اللغة وتقلّب الحضارات، مهجورة أو مماتة بسبب من كونها، قد أُلقِيت خارج دائرة الاستعمال؛ فصارت نابية عن حاجات العصر. إنّ الكلمات المندثرة والعبارات المهمَلة، ينبغي إغفالها لأنّ الفائدة من النّص عليها في الحاضر قد انعدمت. ولكنّ المعاجم العربية-العربية تبدو، في هذا المجال أيضا، مقصّرة ومخيّبة للآمال»[12]، وبذا يبدو بالنسبة إليه أنّ القواميس الأحاديّة اللغة العربيّة مقصّرة، ولم تعرف كيف تساير قضيّة التطوّر اللغوي، والمعجمي منه بخاصّة.

غير أنّ واضعي القواميس الأحاديّة اللغة، ينتبهون بدورهم إلى مسألة تطوّر اللغة؛ ذلك أنّهم يجدون إرثا من القواميس العربيّة - ومنها ما هو في الحقيقة موسوعات لغويّة -؛ فتستفزّ هذه المصنفات القاموسي في مسألة التعامل مع المادة اللغويّة القديمة، ويتساءل عن كيفيّة معالجتها، هل يجب النّهل منها؟ أم تجاوزها والاقتصار على مفردات

العصر الحديث ؟ وبما أنّ القاموسيين يسجلون المتداول من المواد المستجدّة، والشائع ممّا راج منها على الألسنة، فلا سبيل إلى معاتبتهم عن مصطلحات أجنبيّة لم تحظ حتّى بالتّرجمة، ولذا أدركنا الغبن الذي يقع فيه واضع القاموس الثنائي اللغة؛ إذ إنّه عاكف على مواد لم تُنقل من قبل إلى العربيّة، من قبل المترجمين المختصين، كما أنّها لم تسجّل من قبل القاموسيين وأهل اللغة العربيّة، ومع ذلك فإنّ القواميس الأحاديّة اللغة، تنهل من المادة اللغويّة الجديدة ما تطعّم به البنية الكبرى للقواميس؛ ومن ذلك ما أفصح عنه واضعو (المنجد في اللغة والأعلام) بالقول عن المادة المستقاة: «وقد زيد عليها مئات المفردات والمعاني المستحدثة من لغة المعاصرين، فضلا عن ألف كلمة ونيف من اصطلاحات ذوي العلم والاختصاص بمختلف ميادين المعرفة»[13]، بيد أنّهم لم يتركوا القديم من المفردات، إذ يوردونها بالشّرح والتعريف، «ولقد تناولنا الكثير من الكلمات القديمة والحديثة نوضحها ونفسّرها بالشّرح العلمي والتّحديد المتداول والتّعبير الحي، ثم نجلو غوامضها، ما أمكن، ابتغاء المزيد من الفائدة.» [14]

ومن خلال هذه المقتطفات التي تحيل إلى جملة من القواميس الأحادية والثنائيّة اللغة، يتبيّن حجم الرهانات والتحديّات المفتوحة أمام أهل العربيّة، لتتبّع التطوّر المعجميّ، بوضع مفردات ومصطلحات، وتدوينها، والتّعريف بها للقارئ، لكي يغطّي حاجياته في الاستعمال اللغوي، والتخاطب، والتداول. بيد أنّ الشواهد التي أزجيناها، توحي بوجود وعي بتغيّرات طارئة، لا مناص من التعامل معها، حتّى لا يساور أهل العربيّة أي عجز معجميّ، لما ينتجون آدابهم، وعلومهم، وفنونهم، في عالم اليوم، وما يتّسم به من تقلّب وتجدّد مطردين.

3. عوامل تطوّر اللغة العربيّة:

لقد قُيّض للعربيّة أن تسافر طيلة دهور طويلة، بيد أنّ ذلك لم يتأتّ البتّة من فراغ، بل إنّ مواكبتها لمقتضيات كل عصر ومصر، كان باعثه جملة عوامل، سنحت لها بعبور الأزمان، والتأقلم السلس، والتطوّر على الرّغم ممّا اعتور مسارها من إكراهات، كان وراءها غالبا تغلغل العنصر الأجنبي في مناطق تداولها، سواء كان هذا قديما أم خلال القرون الحديثة. ولا ريب أنّ النص القرآني أسهم بوفارة، فيما تنبض به العربيّة من حياة؛ فحدث أن توارثها الأجيال، اللاحق عن السّابق، كالأمانة المصونة. أضف إنّ ما يفسّر تعميرها اللافت، هو ما يتسم به نظامها اللساني من خصائص فريدة، أتاحت لها التكيّف مع حاجات الناس وأغراضهم المتجدّدة، وقد تسنّى ذلك بفضل آليات توليدها للألفاظ، من اشتقاق، ونحت، واقتراض، وعلى كلّ، تضافرت طائفة من العوامل المختلفة، وسنحت بترحال العربية في الزمان والمكان، وبتطوّرها، وانتشارها، وسنكتفي

بذكر أهمّها في سياقنا هذا:

1.3. العامل الديني:

إنّ ظهور الإسلام قلب معطيات الجزيرة العربيّة رأسا على عقب، وخرجت اللغة العربيّة من نطاقها المعزول، لتنتشر في المناطق التي امتّد إليها الفتح الإسلامي، من مشارق الأرض إلى مغاربها، تحت تأثير موجات من الهجرات الجماعية، المنطلِقة من البيئة العربيّة الأولى إلى الأمصار القريبة والبعيدة. وبذا، فقد أعطى الإسلام، ولاسيّما النص القرآني، مصيرا جديدا للعربيّة، ورسم لها قدرا غَيَّر في الكثير من التضاريس الجيوسياسيّة، واللاهوتيّة، واللغويّة. ويكفي أن نقول إنّ المدونة التراثية العربيّة، يدور قطب رحاها حول القرآن الكريم، سواء كان ذلك من بعيد أم من قريب، ولذا فقد شكّل العامل الديني باعثا جوهريّا في توجيه مصير اللغة العربيّة، ومن ثمّ فقد «بثّ الإسلام نفسا جديدا في اللغة العربيّة، وأسهم في تشذيبها، وفي المحافظة على نظامها الأساسي، الذي رسمه لها بشكل دائم.»[15] ولئن كان الإسلام دينا موجَّها إلى كلّ العالمين، إلّا أنّه ارتبط بالعربيّة؛ ذلك أنّ لسان نصّه المؤسِّس عربي. وقد كان تعمير العربيّة مستندا إلى انتشار الإسلام وتوارثه بين الأجيال.

2.3. العامل التاريخي:

تمارس المؤثرات التّاريخيّة في اللغة تأثيرا بالغا، إذ تنهض اللغة لما تنهض الحضارات، ولما يخبو وهج الدول، تتداعى معها مكانة اللغة وحظوتها. ومعلوم أنّ تغاير موازين القوى الدائم، وتزحزح الهيمنة من قوّة إلى غيرها، تنعكس نواتجه على الخارطة اللغويّة كذلك. فلمّا احتلّت فرنسا الجزائر، تضعضعت مكانة العربيّة، وتسيّدت الفرنسيّة التداول، والتدريس والإدارة. وفقدت بذلك العربيّة إشعاعها، تاركة المجال قهرا للفرنسيّة؛ فلم تُتَح فرص تعليم العربية لقطاع واسع من الجزائريين، والكثير منهم حُرِمَ حذق لسان ثقافته وانتمائه. وبذا، فحوادث التّاريخ، تحطّ من شأن لسان مغلوب، وترفع من شأن لسان غالب، ولا ريب أنّ حال اللغة المحليّة تسير في تقهقر، نتيجة المكانة التي آل إليها. وأكثر من ذلك حدث وأنْ تغلغل التأثير الفرنسي في اللهجات الجزائريّة معجميّا، تبعا لطول فترة الاحتلال، فحصل تمّاس الفرنسيّة بالمحكيّات المحليّة. ولما حقّقت الجزائر استقلالها، طفقت العربيّة تأخذ مكانتها الأولى، وتتملّص من هيمنة الفرنسيّة. ولذا، فتبدّل الأوضاع التّاريخيّة، ينسحب مباشرة على مكانة اللغة، سواء بالإيجاب أو بالسلب، ومن ثمّ تؤثر التقلبّات التّاريخيّة في مسألة تطوّر اللغة أو نكوصها في بيئتها.

3.3. التنوّع الجغرافي:

إنّ التنوّع الجغرافي يؤثر أيضا في تحقيق التنوّع داخل اللغة الواحدة، ممّا يجعلها تتمتّع بثراء معجمي وتعبيري لافتين، نظرا لما يبدع متكلموها من مفردات وتعابير، تستجيب لرغباتهم الخاصّة ومعطيات واقعهم المعيش. وقد خالط العرب قديما شعوبا مجاورة، وجغرافيات متباينة، عقب التوسع الإسلامي، فتأثرت العربيّة، وتطوّر رصيدها المعجميّ؛ ذلك أنّها اقترضت من اللغات التي حلّت محلّها، أو تلك التي ترجمت عنها، وهذا ما جعل العربيّة تغتني بمواد لسانيّة وافدة من لغات أخرى. وتطور اللغة محكوم أيضا بتماس اللغات واتصالها فيما بينها؛ فتفاعل العربية واليونانية، والعربية والفارسية، والعربية والسريانية من طريق الترجمة، وكذا احتواء العربية لواقع الأمصار المختلفة عن البيئة العربيّة، أثرّ في اختلاق مفاهيم جديدة، عنت مثلا بضبط الفصاحة، ورسم حدودها اللغويّة والجغرافيّة والزمنيّة؛ أي بدأ التّفكير في معياريّة اللغة، وتمّ الانكباب على تأسيس مرتكزات نظامها؛ ذلك أنّ التنوّع الجغرافي، وما استتبعه من تنوّع عرقي، صاحبه عدم التقيّد بضوابط العربيّة نطقا ونحوا، مما حمل علماء اللغة على جمع المادّة اللغويّة، التي تصوروها مادّة مثلى للسان العربي، وما كان لهذا التطور في النظر إلى اللغة ليحصل، لولا تزايد الناطقين بالعربية من غير العرب، تبعا لاستيساع الجغرافيّة، وامتدادها. ولقد أثرّت الشعوب التي اتخذت لها العربية لسانا من حيث المعجم، وأضافت مفردات غير معهودة في العربيّة، فكان منها المولد، والدخيل.

ويُلاحظ مثلا أثر التنوّع الجغرافي في تعابير وأساليب الآداب المنتقلة من طور البداوة إلى طور الحضارة؛ فتكتسب اللغة مفردات ملائمة للبيئة الجديدة، «وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذّب لغتها، ويسمو بأساليبها ويوسّع نطاقها، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة، ويكسبها مرونة في التّعبير والدلالة.» [16] ومن ثمّ، يتخيّر أبناء كل بيئة، ألفاظا لهم، لمّا يتاح توسعٌ في اللغة، وثراء في معجمها، وكمثال على ذلك الحوار الذي دار بين محمد بن المناذر الشاعر لأهل مكّة بعدما قالوا له إن لغة البصرة بعيدة عن الفصاحة، فردّ عليهم بقرب الألفاظ المستعملة في البصرة من المعجم القرآني «أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام، ونحن نقول قِدر ونجمعها على قدور، وقال الله عز وجل «وجفان كالجواب وقدور راسيات»...» [17]، ونلفي تجليّات التنوّع الجغرافي، وأثره في تطوّر الكثير من اللغات؛ ففي العالم الفرنكوفوني، يمكن للناطق بالفرنسيّة في كندا أو بلجيكا استعمال قطاع من الألفاظ والعبارات غير شائعة في فرنسا، بيد أنّها فرنسيّة اللسان.

4.3. تأثير عصر النهضة:

لم تزدهر العلوم، ولا الآداب في البلاد العربيّة، في ظل خلافة العثمانيين، بل ازداد الانكفاء على الذات حدّة وشدّة، وتواصل التأخر العام في المنطقة، وتقلّص الإبداع، وخبا النتاج الفكري والعلمي. ولم تحظ العربية بحظوة لائقة، والشيء نفسه يقال عن وضع العربيّـــــــة، إبّان الاحتلال الأجنبي، الذي هيمن على الخارطة العربية فيما بعد.

ولقد كان الاتصال بالغرب في بواكير القرن التاسع عشر، باعثا رئيسا لبدايات نهضة اجتاحت البلاد العربية، من طريق مصر ولبنان. وإبّانها بدأت مصطلحات جديدة تتسلل إلى العربية قهرا، تبعا لغياب التسميّات في العربية، وقد لمح الكثير من الفرنسيين مثلا - ممّن اشتغلوا باكرا على إعداد قواميس ثنائية بين العربية والفرنسيّة- إلى الغبن الذي يعتريهم، تبعا لانعدام اصطلاحات في العربيّة، يمكنها أن توافق مدلولات اللغة الأجنبيّة. وفي خضّم الحاجة المعجميّة، طفقت العربية تنفتح قهرا على مصطلحات جديدة، تخصّ الحياة العامة أو بعض الحقول المعرفيّة المحدودة؛ ذلك أنّ التّرجمة كانت في بداياتها، وكانت تسير بخطى محتشمة. ولعلّ ظهور الصحافة شكّل منعرجا حاسما للعربية، وما أدخلته من تعابير وتراكيب مستحدثة، ومن أساليب جديدة، اغتنى بها المعجم العربي، ممّا أدّى باللغة إلى الانبعاث من جديد، الأمر الذي سنح للناطقين بالعربيّة بالتّعبير عن روح العصر، وما حفل به من مستجدّات.

ولاغرو أنّ تطوّر العربيّة، تأتّى كذلك بفضل التّرجمة والآداب الحديثة، أكثر من تأثير أيّ قرار مؤسساتي أو رسمي. وأمام التأخر الحضاري الذي تراكم أمده، وجد العرب أنفسهم في أزمة مصطلحات مستشريّة؛ فطفقوا في تسميّة مفاهيم وأشياء لم يعهدوها من قبل، ولأدلّ على ذلك من استظهار القواميس الثنائيّة اللغة، لتبيّن ثقل التأخر الحضاري، وما نجم عنه من غبن في إيجاد المصطلحات المقابلة. وإنّ تسيّد الأجانب لقرون ممتّدة، عرقل مسار النّهضة العربيّة الحقيقيّة، وضاعف من تهميش اللغة العربيّة. ومع ذلك، فمع بدايات عصر النّهضة، طفقت العربيّة تعود إليها الحياة، من طريق التّرجمة، والصحافة، والإبداع الأدبي.

5.3. الدور المؤسساتي:

في العصر الحديث، تضطلع مؤسسات أكاديميّة بمسألة تطوير اللغة، وتتبّع التّوليد المصطلحي، لتزويد العربيّة، بما تحتاجه مقابل المصطلحات والمفردات الأجنبيّة؛ لذلك أنشئت مجامع اللغة العربيّة في سوريا، مصر، الأردن، العراق، الجزائر، السودان، كما يتولى (مكتب تنسيق التّعريب) بالرباط مهمة توحيد المصطلحات والتّنسيق بين

مختلف المجامع. لذلك تجتمع لجان مختّصة للنظر فيما يستجد من مصطلحات؛ فتنتقي الأصلح منها، خدمة للباحثين والمختّصين في حقل معرفي ما، وغير خاف أنّه في لغة الاختصاص، تقتضي الوظيفة التواصليّة مصطلحات دقيقة ومضبوطة، مما يحتّم استحداث مصطلحات تفي بالغرض، وقضيّة الدقة في التسميّة، تتطلّب أحيانا وقتا ونظرا وتدارسا واعيّا.

ومن العوامل التي جعلت العربيّة تأخذ منعرجا حاسما في تاريخ تطورها، يمكن ذكر ما دخل البلاد العربيّة من نُظم تعليم حديثة، إذ أُنشئت المدارس، والمعاهد والجامعات؛ فتقلّص حجم الأميين، بل إنّ حتى ما بقى منهم - ممّن لا يفقه الكتابة ولا القراءة - نهضت جمعيات حكوميّة، وغير حكوميّة، بغية توفير تعليم مناسب لهم، لاسيّما فئة الأميين المتقدمين في السن، ومن ثمّ، فقد تمّ تعميم التّعليم في البلاد العربيّة، ليشمل الذكور والإناث، وغدت العربيّة الفصحى مفهومة في كلّ بلادها، وبتطوّر نظم التّعليم ومناهجه، تطوّر تعليم العربيّة، إذ تنتهج الجهات المشرفة على وضع برامج العربيّة سبل تسهيل تعليم اللغة، والوضوح والتّبسيط، وكذا التدرج في المحتوى البيداغوجي، من أجل استيعاب فعّال، واكتساب سلس للمهارات والكفاءات الضروريّة.

4. بعض ملامح تطوّر العربيّة:

سنشير ههنا إلى لمح تتّصل بتطوّر العربيّة، وسنورد أهم ملامح التحوّلات التي طرأت عليها؛ فكل لغة عرفت خلال مسارها تغيّرات، سنحت لها بالتأقلم، والتكيّف مع توالي العصور، وتغاير الأحوال والواقع. ومن بين أهم ملامح تطور العربيّة، يمكن التّنويه إلى ما سيأتي تفصيله:

1.4. انتقال العربيّة من لهجات مشتّتة إلى لغة جامعة:

إنّ المتتبّع لتاريخ العربيّة يجد من بين أوائل ملامح تطوّرها، ما طرأ عليها من تحوّل لافت، بانتقالها من مجرّد لغات قبائل إلى لغة جامعة فاتحة للأمصار، وطفقت شيئا فشيئا تتبوّأ لسان حال أقوام لم يكونوا عربا أقحاحا. وما أسهم في تسيّد العربيّة، ذلك الاهتمام المتزايد بغية تعلّمها وتدارسها؛ فوُضِعت المراجع التي تصف لسانها، وأُلِّفت المصنفّات التي تقنن نحوها، وتثبت معجمها، وتنقر سمات أصواتها، وتبيّن خصائص صرفها؛ وسرعان ما غدت العربية لسان علوم، وفنون لدولة متراميّة الأطراف. وهذا التحوّل جذري وجوهري، تميّزت به العربية عن غيرها، ذلك أنّ الفاتحين خالطوا الشعوب التي وجدوها، وقاسموها الدين، واللسان، بعكس بقيّة أشكال الاستعمار القديمة والحديثة، التي قهرت الشعوب، وأذاقتها ويلات الاستغلال، حتّى أدّي الأمر

بالشعوب القابعة تحت الضيم إلى الانتفاض من ربقتها، كما أنّ المستعمرين قديما وحديثا، لم يخالطوا الشعوب، ولم يقاسموها لا الثقافة ولا اللغة؛ ذلك أنّ الاستعمار كانت تقوم قائمته على الاستغلال والاستعباد والاحتقار، ومن ثمّ عرفنا لم سميت التوسعات الإسلاميّة بالفتوحات؛ فذلك عائد إلى مسألة تبليغ الرسالة والدين واللغة، وما صاحب ذلك من حضارة، أثرّت في المجتمعات وتأثرت بها. وبذا غدت العربيّة لسان أمّة متراميّة الأطراف، مختلفة الأجناس، بعدما كانت مجرّد لغات لقبائل متناثرة هنا وهناك في الجزيرة العربيّة.

2.4. الانتقال من الشفوي إلى الكتابي:

عُرِفت الجزيرة العربية بنظم الشعر وروايته، ولم تكن تحتاج في ذلك إلّا إلى الحافظة القويّة والذاكرة، ولم تحتّل الكتابة مكانة هامّة، في ظل رواج التداول الشفوي وطغيانه، ولما جاء الإسلام، طفق الانتقال التدريجي من التداول الشفوي المحض إلى الاستعانة بالكتابة؛ فاتخذ الرسول كتبة استعملهم، و»يُحصى منهم ثلاثة وأربعون كاتبا للرسول، وقد كان من بينهم نساء، ومنهن: الشفاء بنت عبد الله القرشية، حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم كلثوم بنت عقبـــــة، عائشة بنت سعد، كريمة بنت مقداد وشاملة.» [18]

والتّدوين هو في حدّ ذاته تطوّر نوعي لمستوى أمّة من الأمم، إذ يترجم درجة الوعي الذي اعترى العرب، بغية المحافظة على النصوص الدينيّة، وسرعان ما انتقل النظر إلى ضرورة التّعويل على الكتابة لوضع قواعد اللغة، ووضع معجمها، وتأليف تصانيف، تحفظ مختلف العلوم النّقليّة والعقليّة.

3.4. تطوّر الخط العربي:

وشمل التطوّر في العربيّة حتّى رسم الحروف، ولاسيّما ما اقتضاه ضبط نص القرآن الكريم، كي تتيّسر قراءته قراءة سليمة، فبعد كتابته في عهد الرسول وهو ينزل، تمّ جمعه في عهد أبي بكر، ثم وحدّ عثمان بن عفّان المصاحف، ثم عمل «زياد بن أبيه على إعرابه، وندب لذلك أبا الأسود الدؤلي، فقام بعمله المعروف، ثم جاء الحجّاج بن يوسف الثقفي، فعمل على إعجامه، وندب لذلك نصر بن عاصم، أحد تلاميذ أبي الأسود، فقام بنقط المصحف نقطا يهدف إلى غير ما كان يهدف إليه نقط أبي الأسود[...] وختمت هذه الأعمال بوضع علامات خاصّة للفتحة والضمّة والكسرة، لتمييز علامات الإعراب من علامات الإعجام والذي قام بهذا العمل الجديد هو الخليل بن أحمد الفراهيدي»[19]، ولئن تطوّر الخط العربي كثيرا، إلّا أنّه حوفظ على الرّسم القرآني القديم كما هو؛ أي الرّسم العثماني، ومبعث ذلك تقدير وإجلال ما قام به

العلماء والمجتهدون الأوائل. ولم يكتف العرب بتطوير الخط وتحسينه، بل برعوا في فن تنميق العمران، وبخاصة المساجد بالخط العربي. وهذا الاعتناء البالغ بالخط برهان على تطوّر مسّ وظيفة الخط، وانتقاله من مجرد شكل كتابي، لحفظ مادة معرفيّة، إلى عنصر جمالي ترصع به المباني الفخمة، وتواصل تطوّر الخط العربي، إلى أن انتهى بالشكل الطباعي الحالي.

4.4. ظهور المدارس النّحويّة:

تتجلّى كذلك ملامح تطوّر العربيّة، وما جرى لها من تغيّرات، في ظهور علم النّحو، إذ إنّه سعى للإحاطة بوضع آلة، يُهتدَى بها من أجل سلامة الكلام، على نحو ما نطقت به العرب، وتشكّلت معالم المدرسة الأولى في البصرة على يد سيبويه (ت 180هـ)، بيد أنّ مدارس أخرى تمخضّت هنا وهناك، لتدل على سعة العربيّة، وكذا التطوّر في فهم قواعدها، ولا جرم أنّ التراث النّحوي «وهو تراث بالغ السعة، عظيم الثراء، رائع التنوّع، تتمثّل فيه كافة الاتجاهات الفكرية التي عاشت في المراحل التّاريخيّة المختلفة التي أثمرته، حتّى إنّه ليمكن القول –دون تجوّز- أنّه تتجسّد فيه آثار التغيرات الاجتماعية وما صحبها من تطورات فكرية تمتد منها وتعبر عنها»[20]، وما اتسّم به الدّرس النّحوي من خصوبة وتجدّد، ينّم عن تطوّر الفكر النّحوي، وما استتبعه من مصطلحات ضابطة له، ومن ثمّ نلفي أنّ النّحويين قد «شذّبوا المصطلحات وهذبوها وعدلوا من متصوراتها وكلّ ذلك محاولة منهم للوصول بالمتصورات وألفاظها درجات مثلى من الكمال.» [21]

وقد عرفت العربية ما سمي بالمدارس النّحويّة، في البصرة، والكوفة، والحجاز، ومصر، وقد كانت هناك اجتهادات أخصبت الدّرس النّحوي، حتّى ولئن كان ذلك في إطار أسس النّحو المتوارثة عن سيبويه. وفي الأوقات المعاصرة، لاحت أراء تدعو إلى تيسير النّحو، وتذليله للمتعلّمين، ورفع الغبن عن هذا المبحث، لما يتّسم به أحيانا من غموض وشقة، كما أنّ اجتهادات الأوائل لم تخلُ من تعليلات، تثقل كاهل المتعلّم، أكثر مما تسدي له معروفا. ويسعى المحدَثون إلى جعل النّحو ميسور المنال، وأقرب إلى الفهم، لاسيّما في ضوء اللسانيات الحديثة وحقولها المتنوّعة.

5.4. التطوّر المعجمي:

لا نبالغ إن قلنا إنّ التطوّر المعجمي، يمثّل أبرز تجليّات حركيّة اللغة، وتفاعلها مع مختلف مراحل حياتها؛ ذلك أنّ الجماعة اللغويّة مضطرّة، لتبنّي تسميات واصطلاحات جديدة، بغيّة احتواء الواقع الجديد والمتجدّد، تبعا لما يبدعه الإنسان من مفاهيم، وأشياء، وما يفوز به من اكتشافات في جميع الميادين. وتقليب القواميس

الموضوعة من عصر إلى عصر، يفضي إلى استجلاء حجم تغير التّوظيف المعجميّ، نظرا لتغاير ما احتيج في كلّ عصر من مفردات ومصطلحات، إذ تطرأ تحوّلات على الحياة الاجتماعيّة، والثقافيّة، والاقتصادية والعسكريّة والسياسيّة للجماعة البشريّة؛ فمع ظهور الإسلام، بانت مصطلحات جديدة كالمؤمن والكافر والمسلم والمشرك والجهاد، أو تغيّرت مدلولات مفردات معروفة كالصلاة، التي انتقل مفهومها من مجرد الدعاء إلى عبادة، تشتمل على طقوس وأركان مخصوصة، لا تقوم الفريضة إلّا إذا توافرت واستوفت شروطها. وفي عصورنا الحديثة، برزت مصطلحات مثل السينما، الشابكة، الناسوخ، الفضائيّات، إلخ. ويشمل التطوّر اللغوي حتّى مستوى الأساليب المستعملَة، والتراكيب الشائعة، والكثير منها تسرّب إلى العربيّة، من طريق محاكاة تعابير متداولة في اللغات الأجنبيّة، ومن ذلك تعبير «صبّ الزيت على النّار»، «من يريد أن يقتل كلْبه، يتّهمه بالكلَب.» [22]

6.4. تطوّر الدرس اللغوي:

ومن سمات التطوّر في العربيّة طرق معالجة النظام اللغوي، وتباينها من وقت إلى آخر. ففي القرن العشرين، حاولت الدراسات اللغويّة مقاربة اللغة، من منطلق النظريات المستحدثة من روح العصر، والمتأتيّة من زبدة التجارب الإنسانية الأخرى في مجال اللغويات، وعلى الرّغم من ثراء وتنوّع الدراسات اللغويّة التي عنت بالعربيّة قديما، إلّا أنّ هذا لم يمنع من الإقبال على مباحث اللسانيّات، حيث أصبح التأثر واضحا بالتيّارات اللغويّة الغربيّة، وبنظرياتها الحديثة، وتجاوز ما عهده المتعلّمون من تقسيمات وتبويبات، كان قد وضعها العلماء الأقدمون. وهذا تمّام حسّان يصف منهجه الوصفي الذي اهتدى إليه قائلا: «فليس هذا الكتاب كتابا في فرع معيّن من فروع هذه الدراسات، ولكنّه يجول فيها، ويأخذ من كلّ فرع منها، ما يراه بحاجة إلى معاودة العلاج على طريقة، تختلف اختلافا عظيما أو يسيرا عن الطريقة التي ارتضاها القدماء، ثم ينتهي أخيرا إلى نتيجة مختلفة أيضا.»[23]

ويبدو أنّ تطوّر النظر في النظام اللساني شيء طبيعي، تبدَّلَ بحسب الفكر السائد في كلّ عصر، وبحسب الفهم الذي راج بين العلماء؛ و»المنطق العقلي يقضي أنّ اللغة لم تنشأ دفعة واحدة بل نشأت بالتدرج شيئا فشيئا، بحسب حاجة الإنسان وبيئته، وهذا التدرج في النشوء أتاح للإنسان أن يُعْمِلَ فكره في اللغة، ويضفي عليها شيئا كثيرا من العقلانية والمنطق.»[24]

ومن الدراسات الحديثة التي قاربت العربية مقاربة غير معهودة جهود أندره رومان (André Roman) (ت 2012م)، ومحاولته فهم نظام العربية بانتحاء منهج

طريف، يركّز على النظام المقطعي في سبر نظامي التّسمية والخطاب، وهي طريقة جديدة فيها الكثير من المتعة والفائدة للناظرين في مسارات تطوّر العربيّة.[25]

الخاتمـــــة:

إنّ تطوّر اللغة مسألة حيويّة، لأنّها ضامنة لبقائها، ولأنّها تتيح فرص تكيّفها مع الواقع الذي تُتَدَاوَل فيه، والعربيّة من اللغات المتميّزة بنظام لغوي مرن، سهّل للناطقين بها التّوليد المصطلحي اللازم للخطاب المتخصّص، كما أعانهم علي ابتداع مفردات تَحقَّقَ بها التواصل والاتصال. والمتأمل في مسار العربيّة، يجده حافلا بالتَّغيّرات، والتحوّلات، التي سمحت لها بالتّعمير، والبقاء. وبما أنّ اللغة رهينة الفكر، والواقع؛ فكان أن تأثّرت بهما تأثيرا مباشرا ودائما، إذ تطوُّر الفكر، أدّى إلى تطوّرٍ في الدّرس اللغوي، وما سجلّه الواقع العربي من تغيّرات، انعكست تبعاته في اللغة معجميّا، وأسلوبيّا، وتعليميّا.

وتجلّت ديناميّة التطور في العربيّة من خلال التغيّر الجذري لذهنيّة العربي، نظرا لما أحدثه ظهور الإسلام من انقلاب في المفاهيم والأفكار، وما استتبعه من اهتمام بالنصوص الدينيّة، كتابة، وشرحا، وتفسيرا، وما اقتضاه النطق السليم بالعربيّة من استحداث لعلوم لسانيّة، تصف النظام اللغوي، وتقنّن له، وتطوّرت العربيّة، لانتشارها الجغرافي خارج بيئتها الأولى، وما صاحب ذلك من احتكاك مع شعوب أخرى، ومن ممارسة لنقل العلوم ، ومن ترجمة المصنّفات المختلفة إلى العربيّة. وانتقل العرب من طور التواصل الشفوي إلى طور الكتابة والتّدوين، وأُدخلت تعديلات على الخط، وغدت العربيّة لغة العلم والفن والآداب والفلسفة، وخبا وهجها في عصور الانحطاط، وفترات الاحتلال الأجنبي، ثم عاودت الحياة تدبّ في أوصالها بعد التحرّر، وانتشار التّعليم وتعميمه، وهاهي الآن تتكئ على الصحافة، والنّشر، والمجامع اللغويّة، والمدارس والجامعات، كما وجدت لها مكانا لائقا في الأمم المتحدّة، وهي تدرس في كل قارات العالم، ولئن بوصفها لغة أجنبيّة، وهي تتكيّف اليوم مع معطيات العولمة، وما تمليه من إكراهات وتحديّات.

الهوامـــــش:

* دكتور من جامعة ليون، فرنسا، مختّص في التّرجمة وتعدّد اللغات واللسانيات.

(1) جان لويس كالفي، حرب اللغات والسياســـــات اللغويّة، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنــــــــــان، ط1، 2008م، صص 325/326.

(2) ينظر في مقدمة محمد أديب جمران، المعجم في الأساليب الإسلاميّة والعربيّة، مكتبة

العبيكان، الرياض، ط1، 1999م.

(3) أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القامـــــوس، القسطنطنية، دار صادر، 1299هـ، ص: 3.

(4) ينظر في مقدمة بطرس البستاني، محيط المحيـــط، مكتبة لبنـان، بيروت، 1977م.

(5) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ، دار الفكـــر، المجلّد الأوّل، د.ت، ص: 6.

(6) ينظر في مقدمة المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق بيروت، ط1، 2000 م.

(7) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، نفسه.

(8) Mohammed Besnaci, La contextualisation dans la lexicographie bilingue, Editions Oum-El-Kitab, Mostaganem, 2014, p.397. « Le dictionnaire joue donc « pleinement sa fonction didactique car il devient une source de connaissances

(9) روحي البعلبكي، المورد قاموس عربي-إنكليزي، دار العلم للملايين، بيروت، ط13، 2000م، ص: 6.

(10) روحي البعلبكي، نفسه.

(11) روحي البعلبكي، نفسه.

(12) روحي البعلبكي، نفسه.

(13) ينظر في مقدمة المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط41، 2005م.

(14) المنجد في اللغة والأعلام، نفسه.

(15) Mahboubi Moussaoui, L'extraordinaire histoire de la langue arabe, Editions Sabil, Union Européenne, 2ème édition, 2014, p.90. « L'islam apporte un nouveau souffle à la langue arabe et contribuera à son épuration et à la préservation de son « système fondamental qu'il va définitivement arrêter

(16) علي عبد الواحد وافي، اللغـــة والمجتمع، شركة مكتبات عكّاظ للنشر والتّوزيع، العربية السعوديّة، ط4، 1983م، ص: 13.

(17) أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، (ت 255هـ(، البيان والتبيين، دار الكتب العلميّة، بيـــــروت، ج1، د. ت، ص: 11.

(18) Mahboubi Moussaoui, Op.Cit., pp. 84/85. « On dénombre quarante trois scribes du Prophète dont certains sont des femmes. Parmi celles-ci, il y a : ach-chifa' bint Abdillah al-Qurachiya al-'Adawiya, Hafsa bint Umar bn al-Khattab, Um Kal- « thum bint Uqba, Aïcha bint Sa'd, Karima bint al-Miqdad et Chamila

(19) مهدي المخزومي، مدرســـــة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنّحو، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986م، ص: 19.

(20) ينظر في مقدمة علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1975م.

(21) توفيق قريرة، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، دار محمد علي للنشر، تونس،

ط1، 2003م، ص: 14.

(22) ترجمة للعبارتين: «jeter de l'huile sur le feu» و «celui qui veut noyer son chien, l'accuse de la rage»

(23) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994م، ص: 9.

(24) عدنان محمد سلمان، دراسات في اللغة والنحو، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1991م، ص: 14.

(25) ينظر أندره رومان، المجمل في العربية النظاميّة، ترجمة حسن حمزه، المركز القومي للترجمة، القاهرة. ط1، 2007م.